دراسة عقدية لدعاء يونس عليه السلام (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)

A Doctrinal Study of Yunus's Supplication (there is no God but you, glory be to you, I was one of the oppressors)

د.مروه محمود حجو خرمه

أستاذ مشارك في العقيدة والفلسفة

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية/ كلية القانون/ جامعة الامارات العربية المتحدة

قسم أصول الدين/ كلية الشريعة/ الجامعة الاردنية

Dr Marwa Mahmoud kharma
Associate Professor Doctor in Doctrine and Philosophy
Dept. of Shariah and Islamic Studies, University of United Arab Emirates
Dept. of Usuluddin, Faculty of Shariah, University of Jordan

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة عقدية لدعاء مشهور لرفع الكروب وقضاء الحاجات؛ وهو دعاء يونس عليه السلام: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، ومشكلة البحث تظهر في حل إشكالية عصمة الأنبياء مع ما ورد من أوصاف توهم في ظاهرها معارضتها للعصمة، ويهدف البحث إلى بيان أهمية دعاء يونس وأثره على كل مكروب، وتوضيح الدلالات العقدية للجوانب الثلاثة من هذا الدعاء، ودفع تعارض عصمة الأنبياء مع نسبة الظلم إليهم، واتبعت في ذلك مناهج: الاستقراء والاستنباط والتحليل، وقسمت البحث إلى مبحثين: الأول: دعاء يونس (دواعيه وآثاره)، والثاني: الدلالات العقدية لدعاء يونس، وتناولت دراسة عقدية لمتعلقات قصة هذا الدعاء وهي: (مغاضباً) و(فظن أن لن نقدر عليه) و(وهو مليم) و(ولا تكن كصاحب الحوت)، وخلصت إلى نتائج مهمة؛ وهي أن هذا الدعاء جمع بين الإقرار بالتوحيد والتتريه والتحقق بالعبودية المتمثلة بالافتقار، وأن كل ما نسب إلى يونس من مغاضبة وظنٍّ وملامة ونسبة الظلم لنفسه كل ذلك لا يتعارض مع عصمة الأنبياء عليهم السلام، ومن أهم ثمار البحث الدعوة إلى انتظار الفرج وعدم اليأس من رحمة الله اقتداءً بيونس؛ الذي في أوج محنته وشدة كربه لم ييأس من رحمة الله، بل كان متيقنا أن الله تعالى سيفرج عنه كربه، فكان هدياً نبوياً نهتدي به بألا نيأس من رحمة الله تعالى بل ندعوه بيقين.

الكلمات المفتاحية: يونس، التوحيد، التتريه، العبودية، عصمة الأنبياء.

Abstract

This research deals with a doctrinal study of a famous supplication to release anguish and meet needs. That is the prayer of Yunus. The research problem is in thinking that there is a contradiction between the qualities the prophets were described with and their infallibility. The research aims to show the importance of the supplication of Yunus and its impact on each anguished, and to clarify the doctrinal connotations of the three aspects of this supplication and to refute the claim that attributing transgression to the prophets contradicts their infallibility. To do that, the researcher followed the inductive, deductive and analytical methodologies. The research was divided into two topics: the first: Yunus's supplication (its causes and effects), and the second: the doctrinal connotations of Yunus's supplication.
This study discussed the causes of this du'aa which are "he went off in anger", "thought that We would not decree [anything] upon him", "while he was blameworthy" and "do not be like the Man of the Whale". The conclusion contains some important findings. This supplication combined recognition of Allah's monotheism and glorification, and confirmation of slavery represented by need. These qualities which were attributed to Yunus such as anger, supposition, blaming and his attribution of injustice to himself do not conflict with the infallibility of the prophets. One of the most important benefits of the research is the call to expect relief and not to despair of Allah's mercy. This was a prophetic guidance that we call Allah and we are certain of the answer.
Keywords: Younis, Monotheism, sanctification, Slavery, The Infallibility of the Prophets.

المقدمة

إن دعاء يونس عليه السلام ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لمن أشهر الأدعية التي يرددها المسلمون كلما نزلت فيهم الكروب والهموم، وكان هذا الدعاء سبب نجاة يونس عليه السلام من الظلمات الثلاث التي كان قد ابتلي بها، وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء، وأخبرنا انه سبب لرفع الهم والغم، وقضاء الحوائج لنا كذلك.

وقد جمع هذا الدعاء جوانب ثلاثة: التوحيد لله، والتتريه له سبحانه، والتحقق بالعبودية والافتقار، مما دفعني للبحث عن العلاقة بين هذه الجوانب فيما بينها وعلاقتها مجتمعة بتفريج الكروب، فجاء البحث بعنوان: (دراسة عقدية لدعاء يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في كونه يدرس دعاء يونس عليه السلام الذي أخرجه من بطن الحوت، وكان سببًا في رفع الهم والغم عنه، وفي كونه دعاءً ساري المفعول لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، فكان لزامًا أن أبحث في مضمون هذا الدعاء لأستنبط دلالاته العقدية، وأسباب جعله دعاءً رافعًا للبلاء ومزيلًا للهم والكرب، كما يجدر البحث في دفع إشكالية تعارض عصمة الأنبياء عليهم السلام مع نسبة الظلم إلى أنفسهم، ونفي تعارض العصمة مع متعلقات قصة هذا الدعاء وهي: ﴿مُغَٰضِبٗا﴾ و ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ و ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ و ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾.

إشكالية البحث:

تظهر إشكالية البحث في عدم تخصيص دراسة سابقة تستنبط الدلالات العقدية لدعاء يونس عليه السلام المشهور، خاصة أن في سياق القصة ما يتنافى في ظاهره مع عصمة الأنبياء عليه السلام؛ فكان لا بد من تخصيص بحث لحل الإشكالات الواردة على قصة يونس عليه السلام.

أسئلة البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما دواعي دعاء يونس عليه السلام؟ وما آثاره عليه وعلى أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟
٢. ما الدلالات العقدية لمضمون دعاء يونس عليه السلام؟
٣. كيف ينسب الظلم للنبي يونس عليه السلام؟ وهل هذا يتعارض مع عصمة الأنبياء عليه السلام؟ وكيف نفسر كل ما نسب إلى يونس من مغاضبة وظنٍّ وملامة بما لا يتعارض مع عصمة الأنبياء عليهم السلام؟
٤. لماذا كان هذا الدعاء سببًا لرفع الهم والغم والكرب عن كل من يدعو به؟
٥. ما العلاقة بين الجوانب الثلاث التي تضمنها هذا الدعاء؟ وما علاقتها مجتمعة بتفريج الكروب؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١. بيان أهمية دعاء يونس وأثره على كل مكروب ومهموم.
٢. توضيح الدلالات العقدية للجوانب الثلاثة من هذا الدعاء وعلاقتها بعضها ببعض.
٣. بيان العلاقة بين مضمون هذا الدعاء وتفريج الكروب.
٤. دفع تعارض عصمة الأنبياء عليهم السلام مع كل ما نسب إلى يونس عليه السلام من مغاضبة وظنٍّ وملامة ونسبة الظلم لنفسه.

المصطلحات والمفاهيم:

يدور البحث حول مصطلحات ثلاثة: الدعاء والعبادة والظلم، فدعاء يونس هو الدعاء مدار البحث، والعبادة هي جوهر مضمون الدعاء الذي أدى إلى الفرج، والظلم هو ما نسبه يونس لنفسه مما يتعارض مع العصمة، فكانت هذه المصطلحات هي مدار البحث، وقد تفرع عنها متعلقات عدة، وبيان هذه المصطلحات لغةً واصطلاحًا هو الآتي:

الدُّعاءُ لغة: "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلامٍ منك، تقول: دعوتُ أدعو دعاءً"[(١)].

والدعاء اصطلاحًا: "استدعاء العبد من ربّه عزّ وجلّ العناية واستمداده المعونة منه. وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبوديّة، واستشعار الذِلّة البشريّة، وفيه معنى الثناء على الله عزّ وجل، وإضافة الجود والكرم إليه"[(٢)].

العبودية لغة: "تقول: عَبْدٌ بَيِّن العبودة والعبودية والعَبْدية، وأصل العبودية: الخضوع التذلل" [(٣)] "والتعبّد: التذلل"[(٤)]، و"المعبّد كمُعَظَّم: المُذّلل من الطريق وغيره [(٥)]".

واصطلاحًا: قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "خاصية التعبُّد: الحب مع الخضوع، والذل للمحبوب، فمن أحب محبوبًا وخضع له فقد تعبّد قلبه له" [(٦)].

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم المقاييس في اللغة**، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤١٤هـ)، ص٣٥٦.

(٢) الخطابي، أبو سليمان الحافظ، **شأن الدعاء**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، (دمشق، بيروت: دار الثقافة العربية، د.ط، د.ت)، ص٤.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت)، ج٩، ص ١٠، وانظر نحوه: الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: د. إيميل يعقوب ود. محمد طرفي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م)، ج٢، ٤٣٨- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٩٥٢م)، ج ١، ص٣٢٢.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٩، ص ١٣.

(٥) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج١، ص ٣٢٣.

(٦) ابن قيم، شمس الدين الجوزية، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**، (الرياض: دار الثريا، د.ط، د.ت)، ص ١٨٢.

والظُّلْمُ لغةً هو: "وَضْع الشيء في غير موضِعه"(١)؛ "إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه" (٢)

واصطلاحًا: قال الراغب الاصفهاني رحمه الله: "الظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز"(٣).

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع لم أجد بحثًا متخصصًا بدراسة الدلالات العقدية لدعاء يونس عليه السلام الذي نجاه من بطن الحوت، فكل ما كتب عن القصة هو سرد لها وإشارة إلى انتفاع أمتنا بهذا الدعاء، لكن دون تحليل لمضمون الدعاء المشتمل على ثلاثة جوانب: توحيد وتنزيه وافتقار، وهذا ما سأبحثه في هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

المنهج والإجراءات

اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي بجمع الآيات والأحاديث وشروحاتهما من كتب التفاسير والحديث والعقيدة، وسلكت فيه المنهج الاستنباطي والتحليلي في استنباط الدلالات العقدية للجوانب الثلاث لدعاء يونس عليه السلام وتحليل كل جانب منها.

حدود البحث:

تناولت في هذا البحث الأحاديث الشريفة والآيات الكريمة التي ذكرت دعاء يونس عليه السلام مدار البحث، وعليه فلم أتطرق إلى تفاصيل قصة يونس سواء في الكتاب أم السنة، واكتفيت بالإشارة إلى مختصر قصته التي أدت به إلى هذا الدعاء، كما أنني أشرت

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، ص٣٧٣.

(٢) الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان داوودي، (دمشق: دار القلم، ط٣، ٢٠٠٢م)، ص٥٣٦.

(٣) **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

بالمختصر إلى خلاف العلماء في مسألة عصمة الأنبياء و لم أتوسع فيها، وركزت على نفي تعارض ما وصف به يونس عليه السلام في سياق قصة هذا الدعاء مع عصمة الأنبياء عليهم السلام.

إجراءات البحث:

إن من أهم إجراءات هذا البحث:

١. جمع المادة العلمية من مظانها وتنوع المراجع والمصادر.
٢. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها مع مراعاة الكتابة بالرسم العثماني.
٣. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية.
٤. الدقة في توثيق النقولات والأقوال من مصادرها الأصلية المعتبرة.
٥. عرض الأقوال دون إيجاز أو إسهاب، والترجيح لما أراه مناسبًا فيما اختلف العلماء فيه.
٦. الاستنباط والتحليل للدلالات العقدية واستخلاص أهم الآراء في الموضوع مدار البحث، وجمعها آخر البحث؛ لتسهيل مقارنة الآراء بعضها ببعض.
٧. توثيق المصادر والمراجع آخر البحث مرتبًا ترتيبًا أبجديًّا.

خطة البحث:

المقدمة

المبحث الأول: دعاء يونس عليه السلام دواعيه وآثاره.

المطلب الأول: دعاء يونس عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

المطلب الثاني: دواعي دعاء يونس عليه السلام.

المطلب الثالث: آثار دعاء يونس عليه السلام عليه وعلى أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: الدلالات العقدية لدعاء يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

المطلب الأول: الدلالات العقدية لقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾.

المطلب الثاني: الدلالات العقدية لقوله:﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾.

المطلب الثالث: الدلالات العقدية لقوله: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، **وصلته بعصمة الأنبياء عليهم السلام.**

ثم ختمت **بخاتمة** فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول: دعاء يونس عليه السلام (دواعيه وآثاره).

المطلب الأول: دعاء يونس عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ورد ذكر يونس عليه السلام في ستة مواضع من القرآن الكريم، وهي بحسب ترتيب السور:

١. في سورة النساء قال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣].

٢. وفي الأنعام قال تعالى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦].

٣. وفي يونس قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس: ٩٨].

٤. وفي الأنبياء قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

٥. وفي الصافات قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨﴾ [الصافات: ١٣٩- ١٤٨].

٦. وفي القلم قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨- ٥٠]

وكما نلاحظ أن أول آيتين ذكرتا اسم يونس عليه السلام دون قصته، والآية الثالثة ذكرت قومه وانتفاعهم بالتوبة دون ذِكر قصته معهم، وفي الرابعة جاء ذِكر دعائه

الذي نجاه وهو مدار البحث، وفي الخامسة كان أطول ما ذكر في قصة يونس في القران الكريم، وفي الآية السادسة كان أمر من الله للنبي صلى الله عليه وسلم ألا يكون كصاحب الحوت، وسنبين علاقة ذلك بمدار البحث.

هذا في القرآن الكريم، أما في سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد روى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده بسنده المتصل عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: "إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذكر لنا أول دعوة، ثم جاء أعرابي فشغله حتى قام رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فاتبعته، فلما أشفقت أن يسبقني إلى مترله ضربت بقدمي الأرض، فالتفت إليَّ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: "مَن هذا؟ أبو إسحق؟ " قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: "فمه؟ " قال: قلت: لا والله، إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هذا الأعرابي فشغلك، قال: "نعم، دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ؛ فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له"[١].

وروى الترمذي في السنن الكبرى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له"[٢]، دون ذكر قصة طويلة قبلها.

---

(١) ابن حنبل، أحمد، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار الحديث، ط١، ١٩٩٥م)، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حديث رقم ١٤٦٢م، ج٢، ص ٢١٨؛ قال الحاكم: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه، انظر: الخميس، محمد بن عبد الرحمن، **الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع**، (المنصورة: دار الهدي النبوي، الرياض: دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص٨٥.

(٢) الترمذي، أبو عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق (ج٥): إبراهيم عطوة عوض، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٥م)، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، =

واخرج النسائي بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ألا أخبركم -أو أحدثكم- بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلاء الدنيا دعا به فُرِّج عنه؟. فقيل له: بلى، قال: دعاء ذي النون: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾"(1).

وروى ابن جرير بسنده المتصل عن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اسم الله الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى: دعوة يونس بن متى. قال: قلت: يا رسول الله، هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: هي ليونس بن متى خاصة، وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله عز وجل: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ فهو شرط من الله لمن دعاه به (2).

=

حديث رقم ٣٥٠٥، (٥/ ٥٢٩)، خلاصة حكم المحدث صحيح / **الموسوعة الحديثية في موقع الدرر السنية** https:/ / dorar.net/ h/ 2a8aee4fd73eba6125dcc212de5ca682. الثعالبي، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨ ه)، ج٤، ص٩٧-٩٨.

(1) النسائي، أحمد بن شعيب، **السنن الكبرى**، حققه وخرج أحاديثه: حسن شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م)، كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر دعوة ذي النون، رقم الحديث ١٠٤١٦، ج٩، ص٢٤٣.

(2) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الدكتور عبد السند يمامة، (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، ج١٧، ص٦٥، ونقله عنه ابن كثير في **تفسيره**، ج٥، ص٣٦٩.

هذه هي الروايات التي ذكرت دعاء يونس عليه السلام، وما يهمنا في هذا البحث ذكر مختصر لقصة يونس عليه السلام قبل البدء بدراسة الدلالات العقدية لدعائه الذي نجاه من الغم وينجي من جاء بعده ممن يدعون الله تعالى به، وبيانه في المطلب الآتي:

المطلب الثاني: دواعي دعاء يونس عليه السلام:

إن ملخص قصة يونس بن متى عليه السلام -الذي وصف بأنه ذو النون أي: صاحب الحوت- أن الله تعالى بعثه إلى أهل قرية "نينوى"، وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله، فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبًا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث؛ فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل، وجأروا إليه، فرفع الله عنهم العذاب، وأما يونس عليه السلام، فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم، وخافوا أن يغرقوا، فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه، فوقعت القرعة على يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا القرعة فوقعت عليه أيضًا، فأبوا، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضًا، فألقى يونس عليه السلام نفسه في البحر، وقد أرسل الله تعالى من البحر حوتًا يشق البحار، حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة، فأوحى الله إلى ذلك الحوت ألا تأكل له لحمًا، ولا تهشم له عظمًا، وعاش يونس في ظلمات ثلاث: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، فلما أن دعى ربه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ استجاب له ربه ونجاه، وأرسله إلى قومه فآمن له مائة ألف أو يزيدون"[1].

([1]) انظر القصة في: الرومي، محمد بن إبراهيم، **ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة**، (الرياض: دار كنوز، إشبيليا للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م) ص٥٨-٥٩. وانظر قصة يونس بشيء من التفاصيل في تفسير المفسرين للسور: يونس (آية ٩٨) والأنبياء آية ٨٧-٨٨ والصافات الآيات ١٣٩-١٤٨ والقلم الآيات ٤٨-٥٠، عند: القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين، **الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، =

ولن أدخل في تفاصيل شرح العلماء لكل آية من الآيات التي تناولت قصة يونس عليه السلام، فمدار بحثي عن الدعاء وليس عن تفاصيل القصة، وسأكتفي بالإشارة إلى خلاصة الآراء في تفسير ما له علاقة بمدار البحث، وهي الوقوف عند قوله: ﴿مُغَاضِبًا﴾ و ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ و ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ و ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾، وخلاصة ما قاله المفسرون في شرح ذلك:

أولًا: قوله ﴿مُغَاضِبًا﴾:

اختلف المفسرون في معناها على أقوال عدة، وبعد استقرائها فإنه يمكننا جمعها في النقاط الآتية:

١. أنه خرج مغاضبًا لقومه، فقد غاضبَ قومه حين طال عليه أمرهم وتعنتهم؛ لأن قومه لما لم يقبلوا منه وهو رسول من الله -عز وجل- كفروا بهذا، فوجب أن يغاضبهم، فقد أغضبوه بإصرارهم على الكفر، وأغضبهم بمفارقته لهم، وعلى كل أحد أن يغاضب من عصى الله تعالى.

٢. أنه إنما خرج مغاضبًا للملك الذي كان على قومه.

٣. أنه خرج من بين قومه مغاضبًا للنبي الذي كان في زمانه وللملك ولقومه.

٤. أنه لم يغاضب ربه، ولا قومه، ولا الملك، وأنه من قولهم غضب إذا أنف.

٥. أنه مغاضب لربه، وهو على أقوال:

=

(القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م)، (٨/ ٣٨٣-٣٨٤، ١١/ ٣٢٩-٣٣١، ١٥/ ١٢١-١٢٢، ١٨/ ٢٥٣-٢٥٤.) وكذلك في تلك المواضع في: الطبري، **جامع البيان**- ابن كثير، إسماعيل، **تفسير ابن كثير**، تحقيق: سامي سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م)- تيسير الكريم، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

أ.أنه ذهب عن قومه مغاضبًا لربه؛ إذ كشف عن قومه العذاب بعدما أوعدهم، وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم، واستحيا منهم، ولم يعلم السبب الذي به رفع العذاب، وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده، وأنه يسمى كذابًا، لا كراهية لحكم الله تعالى... وفي بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب، فخشي أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فغضب.

ب. أنه إنما غاضب ربه عز وجل من أجل أنه أمره بالمسير إلى قومه؛ لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص إليهم، فقيل له إن الأمر أسرع من ذلك، حتى سأل أن ينظر إلى أن يأخذ نعلًا يلبسها، فلم ينظر، وكان في خلقه ضيق فـ ﴿ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾، أي: غضب فانطلق إلى السفينة.

ت. أنه مغاضب لربه، أي: لأجل ربه، كما قال النحاس: وربما أنكر هذا من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح؛ والمعنى: مغاضبًا من أجل ربه، كما تقول: غضبت لك، أي: من أجلك؛ والمؤمن يغضب لله –عز وجل– إذا عصي... فالمعنى أنه لم يغضب على الله ولكن غضب لله إذ رفع العذاب عنهم... وقول النحاس أحسن ما قيل في تأويله؛ بمعنى: أنه خرج مغاضبًا من أجل ربه، أي: غضب على قومه من أجل كفرهم بربه[1].

وقد أنكر كثير من العلماء أن تكون المغاضبة لربه، فلعل الراجح اللائق بمقام النبوة هو الرأي القائل بأنه خرج مغاضبًا لقومه.

(1) انظر تفسير آية ٨٧، ٨٨ من سورة الأنبياء في التفاسير الآتية: القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج١١، ص٣٢٩-٣٣١. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. السعدي، **تيسير الكريم**. البغوي، محيي السنة؛ الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م). وموقع: **http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=01-04-0046** بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام.

قال عياض: والصحيح في قوله تعالى: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ أنه مغاضب لقومه لكفرهم، وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما، لا لربه؛ إذ مغاضبة الله تعالى معأداة له، ومعأداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين، فكيف بالأنبياء عليهم السلام؟[1]؛ قال البغوي: "والتأويلات المتقدمة أولى بحال الأنبياء أنه ذهب مغاضبا لقومه أو للملك" [2].

ومما يؤيد ترجيح أن المغاضبة كانت لقومه لا لله ما شرحه الشعراوي في قوله: "وكلمة (غاضب) غير كلمة (غاضب)؛ فالغاضب: هو الذي يغضب دون أن يغضبه أحد، لكن المغاضب هو من أغضبه غيره... والمغاضبة إذن تكون من جهتين، تسمى (مفاعلة)... وكلنا نعرف القصة، حينما دعا قومه إلى الإيمان وكفروا به في البداية؛ لأن الرسول حين يجيء إنما يجيء ليقوم الحياة الفاسدة؛ فيضطهده من يعيشون على الفساد؛ لأنهم يريدون الاحتفاظ بالجبروت الذي يسمح لهم بالسرقة والاختلاس وإرواء أهواء النفس، فلما فعلوا ذلك مع سيدنا يونس عليه السلام خرج مغاضبًا، أي: أنهم أغضبوه، والمغاضبة كما قلنا من المفاعلة وتحتاج إلى عنصرين" [3].

فالمغاضبة: مغاضبته لقومه فهو غضب لأجل الله، وليس غضبًا من الله، وليس في ذلك معصية، ويمكن توجيهها بأنها من باب المخالفة للأولى؛ إذ كان الأولى أن يصابر قومه وأن ينتظر الأمر والإذن الإلهي للخروج[4].

ثانيًا: معنى ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾:

مجمل ما ذكره العلماء في تفسير ذلك:

---

(1) الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القران**، ج٢، ص٣٨٥.

(2) البغوي، **معالم التنزيل**، ج٥، ص٣٥١.

(3) الشعرواي، **تفسير الشعراوي**، ج١٠، ص٢١٤.

(4) انظر: موقع: **http:/ / www.bayanelislam.net/ Suspicion.aspx?id=01-04-0046 بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام**

١. أنه ظن أن لن نُقَدِّرَ عليه ما أصابه، فقد قرىء (نقدّر عليه) بالتشديد، وذلك كما قيل لحسن ظنه بربه: أنه لا يقضى عليه بعقوبة، هو من القدر الذي هو القضاء والحكم؛ أي: فظن أن لن نقضي عليه بالعقوبة. قاله قتادة ومجاهد والفراء؛ مأخوذ من القدر، وهو الحكم دون القدرة والاستطاعة، فهو من التقدير، وليس من القدرة، وقيل هي بمعنى: ظن أن لن نؤاخذه بخروجه من بين قومه دون إذن.

٢. أنه ظن أن لن نُضَيِّقَ عليه، وذلك على عدة آراء:

أ. أنه ظن أن لن يضيق عليه في مذهبه؛ أي: في ذهابه وتركه لقومه، وذلك نحو قوله تعالى:﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ ، أي: يضيق، وقوله تعالى:﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ ؛ أي "أن الله لن يضيق عليه واسعًا، وسيبدله قومًا غير قومه، وليس في هذا ما يعاب عليه"[1].

ب. أنه ظن أن لن نضيق عليه الحبس؛ أي: في بطن الحوت، أي: أنه ظن وهو في جوف الحوت أن الله غير مخلصه، ولا مانع من عروض هذا الظن للكمّل من الخلق على وجه لا يستقر، ولا يستمر عليه.

ج. أنه رجَّح أن الحق سبحانه لن يُضيِّق عليه الأرض الواسعة، وسيهيئ له مكانًا آخر غير مكان المائة الألف أو يزيدون الذين بعثه الله تعالى إليهم.

٣. قيل: معناه: استنزله إبليس ووقع في ظنه إمكان ألا يقدر الله عليه بمعاقبته، وهذا قول مردود مرغوب عنه عند العلماء وإن نقله البعض؛ لأنه كفر.

---

(١) انظر: موقع: **http:/ / www.bayanelislam.net/ Suspicion.aspx?id=01-04-0046 بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام**

٤. قيل: إنه هو استفهام معناه: "أفظن أنه يعجز ربه؛ فلا يقدر عليه؟"، وهذا تفسير بعيد؛ إذ لا يليق بمقام النبوة مثل هذا الاستفهام الذي يلزم عنه سوء الظن بالله تعالى [١].

وكما هو ظاهر، فإن القولين الأول والثاني يوافقان اللغة والمقام، أما القولان الثالث والرابع فمستبعدان جدًّا، بل غير مقبولين، والخلاصة التي يمكن استنباطها من هذا الموقف أن يونس عليه السلام وهو في أوج محنته وشدة كربه لم ييأس من رحمة الله تعالى، بل كان متيقنًا أن الله تعالى أرحم الراحمين، وأنه لن يضيق عليه ولن يطيل بلاءه، فكان هذا هديًا نبويًّا نهتدي به في حياتنا بأن لا نيأس من رحمة الله تعالى، بل ندعوه ونحن موقنون بالإجابة، مهما كنا في ظلمات فوقها ظلمات؛ فرحمة الله أعظم والأمل به أكبر.

ثالثًا: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾:

وقوله ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾، أي: وهو مكتسب اللوم، يقال: قد ألام الرجل، إذا أتى ما يُلام عليه من الأمر وإن لم يُلَم... فأما الملوم فهو الذي يلام باللسان، ويعذل بالقول، فالملوم هو الذي يلام، استحق ذلك أو لم يستحق، ومعنى وهو مليم: أي في صنعه، وقيل: فاعل

(١) انظر تفسير آية ٨٧-٨٨ من سورة الأنبياء في التفاسير الآتية: القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج١١، ص٣٢٩-٣٣١)- الطبري، **جامع البيان**. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. السعدي، **تيسير الكريم**. البغوي، **معالم التنزيل**. الشعرواي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي– الخواطر**، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د.ط، ١٩٩٧م)، ج١٠، ص٢١٥. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت). ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤ هـ)، ج١٧، ص ١٣١-١٣٢.

لما يلام عليه أي أتى بما يلام عليه، وقيل: المليم المعيب؛ يقال: لام الرجل إذا عمل شيئًا فصار معيبًا بذلك العمل، وقيل المذنب [١].

وأما كونه مليمًا، فالملامة هنا كانت "بسبب ترك الأولى، أو الخطأ في الاجتهاد، والخطأ في الاجتهاد ليس ذنبًا أو معصية، فللمجتهد المصيب أجران وللمجتهد المخطئ أجر"[٢].

وأستبعد تفسير المليم بالمذنب لتعارضها مع مقام العصمة، إذ أرجح أن تكون بمعنى: فاعل ما يلام عليه، واللوم لترك الأولى والأفضل لا يقدح في مقام النبوة بما تقتضيه من عصمة، والله تعالى أعلم.

رابعًا: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾:

يعني: ذا النون، وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضبًا على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليمّ، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير، الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير، فحينئذ نادى في الظلمات، أي: لا تكن يا محمد -صلى الله عليه وسلم- كصاحب الحوت حال ندائه؛ لأنه كان في ذلك الوقت مكظومًا؛ أي: مليئًا بالغيظ من قومه وكفرهم، بمعنى: لا تعجل ولا تغاضب فلا بد من نصرك، وقيل: إنه منسوخ بآية السيف، فالآية هنا بمعنى لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة، وقال قتادة: إن الله تعالى يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويأمره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب

---

(١) انظر تفسير آية ٨٧-٨٨ من سورة الأنبياء في التفاسير الآتية: القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج١١، ص٣٢٩-٣٣١. الطبري، **جامع البيان**. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. السعدي، **تيسير الكريم**، ص١٢٩. البغوي، **معالم التنزيل**، ج٥، ٣٥١.

(٢) انظر: موقع: **http:/ / www.bayanelislam.net/ Suspicion.aspx?id=01-04-0046 بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام**.

الحوت، أي: لا تشابهه في الحال التي أوصلته وأوجبت له الانحباس في بطن الحوت، وهو عدم صبره على قومه الصبر المطلوب منه، وذهابه مغاضبًا [1].

فالنهي هنا نهي عن التشبه به "في ترك ملازمة قومه وعدم الصبر عليهم، ولا شيء في أن ينبه الله أحد أنبيائه إلى سلوك معين قد فات أحد أنبيائه من قبل" [2].

وخلاصة الأمر في دواعي هذا الدعاء: أنها تدور حول وقوع يونس عليه السلام في كرب وغم وهمّ في حبسه في بطن الحوت، فلجأ إلى الله تعالى بهذا الدعاء لينجيه من ذلك الكرب، فكان هذا الدعاء في سياق اللجوء إلى الله تعالى لرفع الكرب والهم والغم، وهو مفتاح لحل الكروب والهموم لأمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فما هي آثار هذا الدعاء؟ الجواب في المطلب الآتي والله الموفق.

المطلب الثالث: آثار دعاء يونس عليه السلام عليه وعلى أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

١. بعد أن دعا يونس عليه السلام بذلك الدعاء كانت الاستجابة بقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وفي تفسير الآية وبيانها للأثر العظيم لهذا الدعاء الجليل:

قال الطبري: "ونجيناه من الغم الذي كان فيه بحبسناه في بطن الحوت، وغمه بخطيئته وذنبه، وكذلك ننجي المؤمنين، يقول جل ثناؤه: وكما أنجينا يونس من كرب

---

(1) انظر تفسير الآية ١٤٢ من سورة الصافات في التفاسير الآتية: القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج١٥، ١٢١-١٢٢. الطبري، **جامع البيان**. السعدي، **تيسير الكريم**. البغوي، **معالم التنزيل**. المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م)، ج٢٩، ص٤٧.

(2) انظر: موقع: **http:/ / www.bayanelislam.net/ Suspicion.aspx?id=01-04-0046 بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام**.

الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا، كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا، وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر" [١].

وبنحوه قال السعدي: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ ، أي: الشدة التي وقع فيها، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهذا وعد وبشارة، لكل مؤمن وقع في شدة وغم أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه ويخفف، لإيمانه، كما فعل بـــيونس عليه السلام"[٢].

وأشار ابن عاشور إلى ما في هذا الدعاء من تبشير للمؤمنين بالنصر القريب قال: "وجملة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تذييل؛ والإشارة بـــ(كذلك) إلى الإنجاء الذي أنجى به يونس، أي: مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين من غموم بحسب من يقع فيها أن نجاته عسيرة، وفي هذا تعريض للمشركين من العرب بأن الله منجي المؤمنين من الغم والنكد الذي يلاقونه من سوء معاملة المشركين إياهم في بلادهم"[٣].

قال الرومي : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، أي: إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء، فقد جاء الترغيب في الدعاء بها عن سيد الأنبياء" [٤].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن نسبة الظلم للنفس فيها إقرار بالعبودية وافتقار لله تعالى من خلال قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فذلك سبيل لاستجابة الدعاء، قال ابن القيم رحمه الله في روضة المحبين قال: "العبد هو الذي قد ملك المحبوب رِقّه فلم يبق له شيء من نفسه ألبتة، بل كله عبد لمحبوبه ظاهرًا وباطنًا، وهذا هو حقيقة

(١) الطبري، **جامع البيان**، ج ١٦، ص٣٨٥.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم**، ص١٢٩.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٧، ص١٣٢.

(٤) الرومي، **ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة**، ص ٥٩.

العبودية" [١]. فالعبودية كما قال ابن عثيمين: " التذلل لله عز وجل محبةً وتعظيمًا بفعل أوامره وترك نواهيه"[٢].

وإذا رجعنا إلى الأحاديث الشريفة التي تعلقت بهذا الدعاء –والتي سبق ذكرها في المبحث الأول– نجد أنها ذكرت آثار هذا الدعاء وفضله بما ملخصه الآتي:

١. أن النبي صلى الله عليه وسلم شوّق الصحابة للإجابة عن سؤاله، فلفت انتباههم لهذا الدعاء راغبين في معرفته، مبينًا آثاره وهو أنه لتفريج الكروب ورفع الابتلاءات عن كل من ينزل به البلاء ويدعو به.
٢. أن النبي صلى الله عليه وسلم علّم أصحابه الكرام هذا الدعاء مبينا لهم أنه "لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له"؛ فكانت هذه الرواية أعم من السابقة لها؛ إذ قال: "في شيء"، أي: يشمل كل شيء مهما صغر أو كبر، سواء كان لتفريج كرب، أو قضاء حاجة، أو نيل وطر، أو تحقيق طلب، فما دام الداعي يدعو بيقين الاستجابة فالاستجابة حاصلة بإذن الله تعالى.
٣. أن النبي صلى الله عليه وسلم في رواية ثالثة علّم الصحابة اسم الله الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، قال هو: "دعوة يونس بن متى"، وهذا يؤكد عموم أثر هذا الدعاء بأنه ليس خاصًّا بتفريج الكروب كما فرج عن يونس عليه السلام، بل هو لاستجابة أي طلب سواء كان من أمور الدنيا أو من أمور الآخرة، سواء كان للنفس –كما نفع يونس عليه السلام– أو كان للغير، وهنا كان راوي الحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقظًا فتساءل على الفور: قال: قلت: يا رسول الله، هي ليونس

([١]) ابن قيم، شمس الدين الجوزية، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، تحقيق: أسامة حسن، (القاهرة: المكتبة القيمة، د.ط، د.ت)، ص ٣٨.

([٢]) ابن عثيمين، محمد بن صالح، **شرح العقيدة السفارينية**، (السعودية: مدار الوطن للنشر، ط٢، ٢٠١٣م)، ص٣٦٢.

خاصة أم لجماعة المسلمين؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "هي ليونس بن متى خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله عز وجل: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الآية"، فكان بيان النبي صلى الله عليه وسلم لعموم فائدة هذا الدعاء لكافة المسلمين بدليل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

إذن خلاصة الآثار والفوائد المستنبطة من هذا الدعاء:

١. أن هذا الدعاء نجى يونس عليه السلام من الكرب الشديد الذي وقع فيه في حبسه في بطن الحوت.
٢. أن هذا الدعاء ليس خاصا بيونس عليه السلام بل هو عام لجميع المؤمنين.
٣. أن من فوائد هذا الدعاء العظيم وآثاره: تفريج الكروب ورفع الابتلاءات.
٤. أن من آثاره -أيضًا- الاستجابة لكل دعاء، سواء كان لطلب دفع الكرب أو لطلب حاجة من حوائج الدنيا والآخرة.
٥. أن نسبة الظلم إلى النفس فيها افتقار وتذلل وإقرار بالعبودية، وكل ذلك سبيل لاستجابة الدعاء وقضاء الحاجات ورفع الابتلاءات، فكلما أقر العبد بعبوديته وذله وافتقاره كانت الإجابة لدعواته أقرب ونيل مقصوده أسرع.

المبحث الثاني

الدلالات العقدية لدعاء يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

نرى في هذا الدعاء ليونس عليه السلام أنه: "أقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه" (1)، وإن المتأمل في هذا الدعاء يجد أنه يشتمل على ثلاثة جوانب: جانب يتعلق بالتوحيد، وجانب يتعلق بالتنزيه، وجانب يتعلق بالتذلل والإقرار بالعبودية والافتقار اليه تعالى، ولكل منها دلالاتها العقدية التي تفسر لنا جعل هذا الدعاء مفرجًا للكروب وقاضيًا للحاجات، وبيان ذلك في المطالب الآتية، والله ولي التوفيق.

المطلب الأول: الدلالات العقدية لقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾:

هذا إقرار موقن بوحدانية ربه تبارك وتعالى (2)، إذ بدأ يونس توجهه إلى ربه بالإقرار بتوحيده لا شريك له، لينفي بذلك استحقاق العبادة لغيره، "وأن عبادة غير الله ودعوة غيره منكر شنيع ويجب فيها العداوة والبغضاء(3)"، ولذا ذهب مغاضبًا لقومه منكرًا عليهم كفرهم بالله.

فلا معبود إلا أنت يا الله، وكأنه إعلان للبراءة من هوى النفس واتباع رغباتها، ونلاحظ أنه قال: لا إله إلا أنت، ولم يقل لا إله إلا الله، ففي قوله: ﴿أَنتَ﴾ عوضًا عن (الله) إشارة إلى استحضاره معية الله له في كربه، فمتى غاب حتى يُنادَى عليه من بعيد؟ لذا نجد يونس عليه السلام لم يناجِ غائبًا، بل كان يناجي حاضرًا بضمير المخاطب المباشر؛ لئلا

---

(1) السعدي، **تيسير الكريم**، ص١٢٩.

(2) عرقسوس، طلال بن مصطفى، **التوسل في كتاب الله عز وجل**، (السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٣٦، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ص٤٧ –٤٨.

(3) ابن محسن، حامد بن محمد، **فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد**، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، (دار المؤيد، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)، ص١٤٤.

يفصل اللفظ بينه وبين الله، فخاطبه مستشعرا قربه بـــ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ يا ربي؛ يا من أنت أقرب إليَّ من حبل الوريد.

ذلك أن المبتلى من بني البشر عند وقوعه في كرب أو عند افتقاره إلى حاجة من حوائج الدنيا أو الآخرة فإنه قد ترد عليه وساوس النفس الأمارة بالسوء ليلجأ إلى خلق الله ليفرجوا كربه أو ليقضوا حاجته، فكان دعاء يونس عليه السلام معلنا أن لا معبود إلا الله، فتبرأ من النفس واتباعها، وهو ما يجدر بكل داع لاجئ إلى ربه؛ أن يتبرأ أولًا من حوله وقوته، فلا يعبد الدينار ولا الدرهم، ولا يعبد النفس الأمارة بالسوء؛ إذ إن اتباعها هو نوع من العبادة لها، فكان أول التوجه بالدعاء إلى الله هو بالإقرار أن لا معبود إلا أنت، أنت يا ربي يا من أستشعرُ قربك مني وسماعك لحاجتي وعلمك باضطراري.

وإن من مقتضيات التوحيد: "سلامة القلب من الشرك والشك والكفر والنفاق والعجب والكبر وتحلي القلب بحلي الإيمان والإخلاص وعظمة الله ووقاره والحب في الله والبغض فيه والرضى بقضاء الله وتسليم الأمر لله ونحو ذلك من الأعمال القلبية، وصدق اللسان والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحدث بنعمة الدين والثناء على الله والشكر له والحمد، ونحو ذلك من الأعمال اللسانية، وامتثال أوامر الله بما قال الله ورسوله" (1).

ذلك أن وجه الحاجة إلى التوحيد: أن صلاح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة مرتبط بالتوحيد ونبذ الشرك... فالموحد عنده وضوح تام في الحياة بحيث لا يتوجه إلا إلى الله ولا يدعو إلا إياه ولا يتقرب لغيره"(2).

(1) ابن محسن، **فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد**، ص ١٤٧.

(2) انظر: ملكاوي، محمد أحمد، **عقيدة التوحيد في القرآن الكريم**، (المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، ص ١٢٩- ١٣١. وانظر تفاصيل أكثر عن ثمار التوحيد فيه: ص١٢٩-١٣٤.

فكان الجانب الأول من دعاء يونس عليه السلام: الإقرار بتوحيد الله والتبرؤ من عبادة ما سواه، سواء مما كان يعبده قوم يونس عليه السلام، أو مما يعبد من دون الله من هوى النفس واتباع الشيطان، وهذا تعليم للعبد المسلم أن يستحضر في دعائه انفراد الله بالألوهية وبالتوجه إليه بالعبودية الخالصة له وحده، فكما قيل: تحقق بذُلِّكَ يُمِدَّك بِعِزِّه، تحقق بعجزك يمدك بقدرته، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته.

المطلب الثاني: الدلالات العقدية لقوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾

أي: أنزهك وأقدسك عما لا يليق بجنابك وبعظمتك [1]، و ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾: تنزيهًا لك من أن يعجزك شيء [2].

فبعد إقرار يونس عليه السلام بالتوحيد أردف دعاءه بالإقرار بتنزيه الله سبحانه عن النقائص، ويمكن أن نستنبط من ذلك أن يونس عليه السلام بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ وكأنه يشير إلى إقراراه بتنزيه الله عن ظلمه له، إذ حبسه في بطن الحوت، فلم يعترض يونس عليه السلام على حكم الله بل نزه الله عن النقص والظلم وكل ما لا يليق به تعالى، وفي ذلك كمال الاستسلام لحكم الله، وعدم التذمر من ذلك الابتلاء، بل خضوع تام لما قضاه الله بلا أي اعتراض، وهو ما يتناسب مع مقام النبوة.

ذلك أن المبتلى من بني البشر كثيرًا ما تضعف نفسه وترد عليه وساوس الشعور بالظلم؛ لماذا يا رب ابتليتني؟ فكان يجدر به أن ينزه الله تعالى عن الظلم، وأن يردف ذلك بنسبة الظلم إلى نفسه لا إلى ربه، فالإقرار بتنزيه الله عما لا يليق به، وعن الظلم تحديدًا فيما يعاني منه هذا العبد المكروب أو صاحب الحاجة، إن الإقرار بتنزيه الله تعالى فيه إقرار بالعبودية لله تعالى وبالخضوع والتسليم لحكمه بلا تذمر ولا اعتراض، وهو إقرار بتنزيه الله

(1) عرقسوس، **التوسل في كتاب الله عز وجل**، ص٤٧ – ٤٨.

(2) الدوسري، فالح بن مهدي، **التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية**، (السعودية: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٣، ١٤١٣هـ)، ج٢، ص١٣٥-١٣٦.

تعالى عن أن يكون ابتلاؤه -سواء بالكرب الذي وقع أو بتأخير قضاء الحاجة- نوعًا من الظلم الواقع على العبد، فدعاء يونس عليه السلام كان قمةً في الحكمة في إظهار التذلل والتحقق بالعبودية لله تعالى، فما العبودية إلا كمال الحب مع كمال الخضوع كما عرفها ابن القيم رحمه الله، وفي اللغة: طريق معبد، أي: مذلل، ففي الذل والافتقار والتسليم لحكم الله يتقرب العبد بكل ذلك إلى ربه، فيكون دعاؤه أقرب إلى الاستجابة بإذن الله تعالى، مع ملاحظة كاف المخاطب في قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ ولم يقل: سبحان الله أو سبحانه؛ ليستشعر كمال القرب عند كمال التذلل والاضطرار. والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: الدلالات العقدية لقوله: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وصلته بعصمة الأنبياء عليهم السلام:

وبعد هذا التوسل العظيم، قدم أيضًا إقراره بخطئه قائلًا: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أي: الظالمين لأنفسهم بفعل ما لا ينبغي فعله، وإنه لتوسل من أعظم أنواع التوسلات، فكان أن أجاب الله عز وجل دعاءه[1].

والظُّلْمُ لغةً هو: "وَضْع الشيء في غير موضِعه"[2]، وهو يريد فيما خالف فيه من ترك ملازمة قومه والصبر عليهم، هذا أحسن الوجوه، فاستجاب الله له، وليس في هذه الكلمة ما يدل أنه اعترف بذنب، كما أشار إليه بعضهم.

وقوله: " ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ صيغة خبر يتضمن طلب المغفرة، فإن الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب، وتارة يسأل بصيغة الخبر" [3].

فبعد ان أقر يونس عليه السلام بتوحيد الله تعالى ثم نزه الله عن الظلم فيما أنزل به من كرب في حبسه في بطن الحوت أردف هذا الدعاء بنسبة الظلم إلى نفسه لا إلى ربه،

---

(1) عرقسوس، **التوسل في كتاب الله عز وجل**، ص٤٧ – ٤٨.

(2) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، ص٣٧٣.

(3) الدوسري، **التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية**، ج ٢، ص١٣٦.

فقال: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: أنت يا ربي لم تظلمني بابتلائك لي، وإنما أنا الظالم لنفسي، وأقرّ بذلي وافتقاري إليك وحدك يا رب العالمين.

وهكذا كل عبد مكروب أو محتاج لقضاء حاجة يدعو الله مقرًّا بوحدانيته فلا يعبد سواه، ومنزها له من الظلم فيما أوقعه فيه من كرب أو حاجة لم تقضَ، ثم يقر العبد بظلمه لنفسه، مظهرًا كمال العبودية بكمال الخضوع والتذلل لربه؛ ليكون أقرب إلى الاستجابة بإذن الله تعالى.

وهنا لا بد لنا من وقفة مهمة جدًّا، إذ كيف نفهم معنى نسبة يونس الظلم إلى نفسه؟ هل هذا إقرار بارتكابه للذنب؟ وكيف يذنب وهو معصوم عن الذنوب كباقي الأنبياء عليهم السلام؟

إن كثيرا من العلماء في تفسيرهم لقول يونس عليه السلام: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ نسبوا إليه الذنب والخطيئة والمعصية دون حرج، من تلك الأقوال:

قول الطبري: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾... وغمه بخطيئته وذنبه" [١]، قال الحسن وقتادة: "هذا القول من يونس اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته، قال ذلك وهو في بطن الحوت"، ثم أخبر الله سبحانه بأنه استجاب له فقال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه الذي دعانا به في ضمن اعترافه بالذنب..." [٢]، وقال ابن الجوزي: "وهذا اعتراف من يونس بذنبه وتوبة من خطيئته" [٣]، وقيل: "إنها دعوة تائب منيب إلى ربه، معترف بخطئه، وقدم بين يدي اعترافه بذنبه توحيد ربه" [٤]، وقيل: "وقد كان الله تعالى أمره بملازمتهم والصبر على

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، ج ١٦، ص ٣٨٥.

(٢) الدوسري، **التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية**، ج ٢، ص١٣٥-١٣٦.

(٣) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢ هـ)، ج٣، ص٢١٠.

(٤) عرقسوس، **التوسل في كتاب الله عز وجل**، ص٤٧ – ٤٨.

دعائهم، فكان ذلك ذنبه، أي: في خروجه عن قومه بغير إذن ربه" [١]، ونسب البغوي المعصية إلى يونس عليه السلام قائلا: "وراجع نفسه فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، حين عصيتك وما صنعت من شيء فلن أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته[٢].

وقد ذُكر من أنواع التوسل الشرعي عن علماء الحنفية، النوع الخامس: التوسل بالاعتراف بالذنب، ومن الأمثلة على ذلك: أن يقول: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ [القصص: ١٦]، أو يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، أو يقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣][٣].

وقد ذكر الراجحي أن النوع الثاني من أنواع الظلم: ظلم أصغر، وهو ظلم الإنسان نفسه بالمعاصي، فهذا تحت مشيئة الله، ولا يحبط الأعمال ولا يخرج من الملة ولا يوجب الخلود في النار... ومثله خبر الله تعالى عن يونس أنه قال وهو في بطن الحوت: لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ [الأنبياء: ٨٧] فظلم نفسه، فهذا ظلم المعصية [٤] .

ولكن مع تقديري لهؤلاء العلماء، لكن ليس لزامًا علينا أن نوافقهم في اجتهادهم في تفسيرهم للآية؛ لأن نسبة الذنب والخطيئة والمعصية للنبي لا تصح:

"لأَنه لَو صدر الذَّنب مِنْهُ لَكَانَ فَاسِقًا، وَلَو كَانَ فَاسِقًا لوَجَبَ أَن لَا تقبل شَهَادَته؛ لقَوْله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وَإِذا لم تقبل شَهَادَته فِي هَذِه الْأَشْيَاء

(١) الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القران**، ج٢، ص٣٨٥.

(٢) البغوي، **معالم التنزيل**، ج ٥، ص٣٥١.

(٣) الأفغاني، أبو عبد الله شمس الدين، **جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية**، (دار الصميعي، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)، ج٣، ص٤٦٢.

(٤) الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله، **دروس في العقيدة**، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية **http:// www.islamweb.net**، ج١٥، ص ٣.

الحقيرة فَبِأَلَّا تُقبل فِي إِثْبَات الْأَدْيَان الْبَاقِيَة إلى يَوْم الْقِيَامَة كَانَ أولى، وَهَذَا بَاطِل؛ فَذَاك بَاطِل" [1]، "وقال عياض في موضع آخر: وليس في قصة يونس عليه السلام نص على ذنب، وإنما فيها أبق وذهب مغاضبا...، وقيل: بل لما وعدهم العذاب، ثم عفا الله عنهم، قال: والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدًا، وهذا كله ليس فيه نص على معصية، انتهى" [2].

وقبل توجيه قصة يونس عليه السلام لما يتفق مع العصمة لا بد من نبذة مختصرة عن عصمة الأنبياء عليهم السلام.

فقد أجمع العلماء على عصمة الأنبياء عليهم السلام فيما يخبرون عن الله تعالى وفي تبليغ رسالاته؛ لأن هذه العصمة هي التي يحصل بها مقصود الرسالة والنبوة، واختلفوا في عصمتهم من المعاصي؛ فقال بعضهم بعصمتهم منها مطلقًا؛ كبائرها وصغائرها؛ لأن منصب النبوة يجل عن مواقعتها ومخالفة الله تعالى عمدًا، ولأننا أمرنا بالتأسي بهم، وذلك لا يجوز مع وقوع المعصية في أفعالهم؛ لأن الأمر بالاقتداء بهم يلزم منه أن تكون أفعالهم كلها طاعة، وتأوَّلوا الآيات والأحاديث الواردة بإثبات شيء من ذلك، وقال الجمهور بجواز وقوع الصغائر منهم؛ بدليل ما ورد في القرآن والأخبار، لكنهم لا يصرون عليها، فيتوبون منها ويرجعون عنها؛ فيكونون معصومين من الإصرار عليها، ويكون الاقتداء بهم في التوبة منها[3].

---

(1) الرازي، فخر الدين، **معالم أصول الدين**، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، (لبنان: دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت)، ص١٠٩.

(2) الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القران**، ج٢، ص٣٨٥.

(3) الفوزان، صالح، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، ص١٩٣-١٩٤. وانظر تفاصيل عن عصمة الأنبياء عليهم السلام في: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م)، ج٢، ص٣٩٣-٣٩٤. ابن تيمية، تقي =

وإذا تأملنا في قصة يونس عليه السلام وأقررنا بأنه أخطأ في خروجه فإن فعله لا يعد أكثر من تركٍ للأولى أو خطأ في الاجتهاد، والخطأ في الاجتهاد لا ينافي عصمتهم، يقول الشيخ مصطفى المراغي: "إنَّ الوحي لا يلازم الأنبياء في كلّ عمل يصدر عنهم، وفي كلِّ قول يبدر منهم، فهم عرضة للخطأ، يمتازون عن سائر البشر بأنّ الله لا يقرّهم على الخطأ بعد صدوره، ويعاتبهم عليه أحيانًا" [(١)] وليس في ذلك نسبة للمعاصي لهم بل هو خطأ في الاجتهاد أو سهو أو ترك للأولى، ونحو ذلك.

لذا، فإن من أجود ما فسرت به قصة يونس عليه السلام ما ذكره الماوردي رحمه الله إذ قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني لنفسي في الخروج من غير أن تأذن لي، و لم يكن ذلك عقوبة من الله؛ لأن الأنبياء لا يجوز أن يعاقبوا، وإنما كان تأديبًا، وقد يؤدب من لا يستحق العقاب كالصبيان، وأما نداؤه ربه فذلك توبة صدرت منه عن تقصيره أو عجلته أو خطأ اجتهاده، ولذلك قال: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مبالغة في اعترافه بظلم نفسه، فأسند إليه فعل الكون الدال على رسوخ الوصف، وجعل الخبر أنه واحد من فريق الظالمين، وهو أدل على أرسخية الوصف، أو أنه ظن بحسب الأسباب المعتادة أنه يهاجر من دار قومه، و لم يظن أن الله يعوقه عن ذلك؛ إذ لم يسبق إليه وحي

=

الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج٢٠، ص٨٨-٨٩. السفاريني، شمس الدين الحنبلي، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، (دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م)، ص٣٠٥. الأشقر، عمر بن سليمان، **الرسل والرسالات**، (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ودار النفائس للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٠ هـ- ١٩٨٩م)، ص ٩٧، ١٠٤، ١٠٧.

(١) الأشقر، **الرسل والرسالات**، ص ١٠٧.

من الله. و(إني): مفسرة لفعل: (نادى)؛ تقديمه الاعتراف بالتوحيد مع التسبيح كنى به عن انفراد الله تعالى بالتدبير وقدرته على كل شيء"[1].

هذا وقد نسب بعض الأنبياء الظلم لأنفسهم ومن ذلك:

قال ابن أبي العز: "أما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله: "لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى". وفي رواية: "من قال: إني خير من يونس بن متى فقد كذب". وهذا اللفظ يدل على العموم، لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى، ليس فيه نهي المسلمين أن يفضلوا محمدًا على يونس، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه. وقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨]، فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام، إذ لا يفعل ما يلام عليه. ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، كما قال أول الأنبياء وآخرهم، فأولهم: آدم، قد قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وآخرهم وأفضلهم وسيدهم: محمد صلى الله عليه وسلم، قال في الحديث الصحيح، حديث الاستفتاح، من رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره، بعد قوله: "وجهت وجهي" إلى آخره: «اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي؛ فاغفر لي ذنوبي جميعًا، لا يغفر الذنوب إلا أنت»، إلى آخر الحديث،

(1) الماوردي، **النكت والعيون**، ج٣، ص٤٦٧.

وكذا قال موسى عليه السلام: قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص: ١٦]؛ فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"(١).

وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء وفيه الإقرار بظلم النفس ما رواه أَبو بكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّه قَالَ لِرَسولِ اللَّه ☐: عَلِّمني دُعَاءً أَدعُو بهِ في صَلاتي، قَالَ: "قُلْ: اللَّهمَّ إني ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إلا أَنْتَ؛ فَاغْفِر لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ وَارحَمْني؛ إِنَّكَ أنت الْغَفور الرَّحِيم"(٢).

"فيونس صلى الله عليه وسلم لما قيل فيه: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، فنهى نبينا صلى الله عليه وسلم عن التشبه به، وأمره بالتشبه بأولي العزم حيث قيل له: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فقد يقول من يقول: أنا خير من يونس، وليس للأفضل أن يفخر على من دونه، فكيف إذا لم يكن أفضل، فإن الله لا يحب كل مختال فخور، وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أوحي إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد». فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم؟ فلهذا قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى». فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفتخر على يونس. وقوله: «من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب»، فإنه لو قدر أنه كان أفضل، فهذا

---

(١) ابن أبي العز، صدر الدين الحنفي الأذرعي الصالحي الدمشقي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ج١، ص١٦١-١٦٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (جدة: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، كتاب الدعوات باب الدعاء في الصلاة حديث رقم ١١/ ١٤٧٥، ج٨، ص٧٢.

الكلام يصير نقصًا، فيكون كاذبًا، وهذا لا يقوله: نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي: مَن قال هذا فهو كاذب، وإن كان لا يقوله نبي" [1] .

فنسبة الظلم إلى نفسه عليه السلام "ليس على ظاهره، بل بالمعنى اللغوي للظلم، وهو وضع الشيء في غير موضعه، إذ كان المناسب منه ألا يترك قومه وأن يصبر على أذاهم حتى يأذن الله له بالخروج"[2].

ونلاحظ في الآيات والأحاديث التي تنسب الظلم للنفس أن الأنبياء أنفسهم هم من نسبوا الظلم إلى أنفسهم، ولم يصفهم الله تعالى بالظالمين، وهذا من باب شدة افتقارهم إلى الله وتحققهم بالعبودية والتضرع إلى الله سبحانه، فيكون الظلم الذي نسبوه إلى أنفسهم ما هو إلا وضع الشيء في غير موضعه؛ من حيث هو: اجتهاد خاطئ، أو مخالفة للأولى، أو نسيان، أو سهو، أو نحو ذلك، مما يليق بمقام النبوة.

وبناء على كل ما استقرأناه سابقًا وما يمكن استنباطه من قصة يونس عليه السلام، فإن التوجيه العقدي لقصته عليه السلام المنسجم مع عصمة الأنبياء عليهم السلام يظهر في النقاط الآتية:

١. أما (المغاضبة) فالمعاني الراجحة المتفقة مع العصمة:

أ. مغاضبته لقومه، فقد غاضبَ قومه حين طال عليه أمرهم وتعنتهم؛ وعلى كل أحد أن يغاضب من عصى الله تعالى.

ب. مغاضبته لأجل الله، فهو غضب لأجل الله، وليس غضبًا من الله، وليس في هذين المعنيين معصية.

---

(١) ابن ابي العز، **شرح الطحاوية**، ج١، ص١٦٢-١٦٣.

(٢) انظر: موقع: **http:/ / www.bayanelislam.net/ Suspicion.aspx?id=01-04-0046 بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام.**

٢. وأما (الظن بأن الله لن يقدر عليه)؛ فالراجح الذي يتفق مع العصمة: تفسير الآية بظنه أن الله:

أ.لن يضيق عليه، أي: أن الله لن يضيق عليه واسعًا وسيبدله قومًا غير قومه، وليس في هذا ما يعاب عليه، بل هو من باب حسن الظن بالله تعالى.

ب. أو لن يُقَدِّرَ عليه، أي: لن يقضي عليه بطول البلاء واستمراره، وهذا تعليم لنا ألا نيأس من رحمة الله تعالى مهما كنا في ظلمات البلاءات.

٣. وأما كونه (مليمًا)؛ فالملامة هنا عتب على ترك الأولى أو الخطأ في الاجتهاد وليست لوما على معصية، إذ كان الأولى والاجتهاد الأصوب: أن يصابر قومه وأن ينتظر الأمر والإذن الإلهي للخروج، وليس في هذا العتاب نسبة الذنب له، فقد عوتب أنبياء آخرون عليهم السلام على ترك الأولى والخطأ في الاجتهاد والنسيان والسهو وليس في أي من ذلك طعن في عصمتهم.

٤. في خطاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (ألا يكون كصاحب الحوت) هذا نهي عن التشبه به في تركه لقومه، وذلك من باب التذكير والحث على ملازمة قومه والصبر عليهم، وفيه إرشاد للنبي صلى الله عليه وسلم ألا يخطئ في الاجتهاد كما حصل مع يونس عليه السلام، وليس في ذلك إثبات للمعصية أو الذنب أو الخطيئة ليونس عليه السلام.

٥. وأما نسبة الظلم لنفسه (إني كنت من الظالمين)؛ فهو:

أ.ليس على ظاهره، بل بالمعنى اللغوي للظلم، وهو وضع الشيء في غير موضعه، سواء كان الاجتهاد في غير موضعه، فأخطأ فيه خطًا غير مقصود، والمجتهد مأجور إن أصاب وإن أخطأ، أو كان قد خالف الأولى؛ ومخالفة الأولى وضع للشيء في غير محله أيضا، وفي كل ذلك لا ينسب إليه الذنب.

ب. أنه هو من وصف نفسه بالظلم و لم يصفه الله بذلك، وقد يصف العبد نفسه بالظلم من باب كمال التذلل والخضوع والافتقار، وليس من باب الوقوع في المعصية.

وخلاصة الأمر: فكل هذه العبارات التي وردت في قصة يونس عليه السلام لا تتعارض مع إثبات العصمة له، كما هي مثبتة لجميع الأنبياء والرسل عليه السلام.

فكان ختم دعائه في كربه بنسبة الظلم لنفسه لإتمام اقراره بفقره وذله واحتياجه إلى عون الله تعالى وفرجه؛ وكان في هذا تعليم لأمة نبينا صلى الله عليه وسلم أن نُقبِل على الله بالذل والانكسار لا بالكبر والاغترار، فكم من عابدٍ مغتر بعبادته، وكم من داعٍ مراءٍ بدعائه، فكان في تعليمنا هذا الدعاء لكشف الكروب وقضاء الحاجات إرشاد للأمة إلى أهمية الافتقار لنيل الاستجابة بإذن الواحد القهار.

وبذلك تتكامل جوانب دعاء يونس عليه السلام الثلاث التي بدأت بالإقرار بالتوحيد، ثم نزهت الباري عن كل نقص وظلم فيما يوقعه فينا من كروب أو تأخير في قضاء حاجات، ثم ختمه بالإقرار بالظلم للنفس والافتقار إلى بارئها ليتم التحقق التام بالعبودية الحقة التي متى تحقق العبد بها نال كل سعادة وتوفيق في الدنيا والآخرة.

هذه بعض الدلالات العقدية التي يمكن استنباطها من دعاء يونس عليه السلام فما وفقت به فبفضل من الله ومنّه، وما أخطأت فيه فلي في ذلك عذر واضح، فكل إناء بما فيه ناضح؛ إذ أسأل الله لي وللمسلمين جميعا الهداية والتوفيق، وأن ينير بصائرنا، وأن يسدد خطانا؛ لنهتدي بهديه، ونقتدي برسله، وآخر دعوانا أن صل اللهم وسلم وبارك على نبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة: (النتائج والتوصيات):

١. أن هذا الدعاء ليس خاصًّا بيونس عليه السلام، بل هو عام لجميع المؤمنين، وأن من آثاره الاستجابة؛ سواء كان لطلب دفع الكرب أو لطلب حاجة من حوائج الدنيا والآخرة.

٢. أن كل ما ورد في قصة هذا الدعاء مما يتعارض مع عصمة الأنبياء كان له توجيهات تتناسب مع اللغة والسياق ومع العصمة، مما يدفع أي إشكالات في فهمها ضمن إثبات العصمة النبوية.

٣. أن يونس عليه السلام وهو في أوج محنته وشدة كربه لم ييأس من رحمة الله تعالى، بل كان متيقنًا أن الله تعالى أرحم الراحمين، وأنه لن يضيِّق عليه ولن يطيل بلاءه، فكان هذا هديًا نبويًّا نهتدي به في حياتنا بأن لا نيأس من رحمة الله تعالى، بل ندعوه ونحن موقنون بالإجابة، مهما كنا في ظلمات فوقها ظلمات، فرحمة الله أعظم والأمل به أكبر.

٤. أن هذا الدعاء اشتمل على ثلاثة جوانب: جانب يتعلق بالتوحيد، وجانب يتعلق بالتنزيه، وجانب يتعلق بالتذلل والإقرار بالعبودية والافتقار إليه تعالى، وإن في استخدام ضمير المخاطب لا الغائب في هذا الدعاء إشارة إلى المعية الإلهية التي يجب على العبد استشعارها؛ لئلا ييأس من روح الله تعالى.

٥. أن نسبة الظلم إلى النفس فيه افتقار وتذلل وإقرار بالعبودية، وكل ذلك سبيل لاستجابة الدعاء وقضاء الحاجات ورفع الابتلاءات، فكلما أقر العبد بعبوديته وذله وافتقاره كانت الإجابة لدعواته أقرب ونيل مقصوده أسرع.

٦. أن مَن كان مكروبًا أو محتاجًا لقضاء حاجة فليكثر من تكرار هذا الدعاء موقنًا به مقرًّا بوحدانية الله تعالى فلا يعبد سواه، ومنزهًا له من الظلم فيما أوقعه فيه من كرب أو حاجة لم تقضَ، ثم يقر العبد بظلمه لنفسه، مظهرًا كمال العبودية بكمال الخضوع والتذلل لربه؛ ليكون أقرب إلى الاستجابة بإذن الله تعالى.

وختامًا أوصي بتوجيه الدراسات العقدية إلى استنباط الدلالات العقدية من خلال سبر غور الآيات والأحاديث الشريفة.

وآخر دعوانا أن صلِّ اللهم وسلم وبارك على نبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

١. الأشقر، عمر بن سليمان، (١٩٨٩م)، **الرسل والرسالات**، (الطبعة الرابعة)، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ودار النفائس للنشر والتوزيع.

٢. الأصفهاني، الراغب، (٢٠٠٢م)، **مفردات الفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان داوودي، (الطبعة الثالثة)، دمشق: دار القلم.

٣. الأفغاني، أبو عبد الله شمس الدين، (١٩٩٦م)، **جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية**، (الطبعة الأولى)، دار الصميعي.

٤. البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله، (١٤٢٢هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (الطبعة الأولى)، جدة: دار طوق النجاة.

٥. البغوي، محيي السنة؛ الحسين بن مسعود، (١٩٩٧م)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، (الطبعة الرابعة)، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٦. الترمذي، أبو عيسى، (١٩٧٥م)، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق (ج٥): إبراهيم عطوة عوض، (الطبعة الثانية)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٧. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، (١٩٨٦م)، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (الطبعة الأولى)، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٨. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، (١٩٩٥م)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (د. ط)، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٩. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، (١٤١٨ه)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، (الطبعة الأولى) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٠. الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، (١٤٢٢ هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتاب العربي.

١١. الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي، (١٩٩٩م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: د. إيميل يعقوب ود. محمد طرفي، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢. ابن حنبل، أحمد، (١٩٩٥م)، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (الطبعة الأولى)، القاهرة: دار الحديث.

١٣. الخطابي، أبو سليمان الحافظ، (د. ت)، **شأن الدعاء**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، (د. ط)، دمشق، بيروت: دار الثقافة العربية.

١٤. الخميس، محمد بن عبد الرحمن، (٢٠٠٤م)، **الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع**، (الطبعة الأولى)، المنصورة مصر: دار الهدي النبوي، الرياض، المملكة العربية السعودية: دار الفضيلة.

١٥. الدوسري، فالح بن مهدي، (١٤١٣هـ)، **التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية**، (الطبعة الثالثة)، السعودية: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٦. الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله، **دروس في العقيدة**، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http: / / www. islamweb. net

١٧. الرازي، فخر الدين، (د. ت)، **معالم أصول الدين**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (د. ط)، لبنان: دار الكتاب العربي.

١٨. الرومي، محمد بن إبراهيم، (٢٠١٣م)، **ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة**، (الطبعة الأولى)، الرياض، المملكة العربية السعودية: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع.

١٩. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (٢٠٠٠م)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (الطبعة الأولى)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٠. السفاريني، شمس الدين الحنبلي، (١٩٨٢م)، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، (الطبعة الثانية)، دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها.

٢١. الشعراوي، محمد متولي، (١٩٩٧م)، **تفسير الشعراوي- الخواطر**، (دون طبعة) مصر: مطابع أخبار اليوم.

٢٢. الطبري، محمد بن جرير، (٢٠٠١م)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند يمامة، (الطبعة الأولى)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

٢٣. ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، (١٩٨٤م)، **التحرير والتنوير**، (د. ط)، تونس: الدار التونسية للنشر.

٢٤. ابن عثيمين، محمد بن صالح، (٢٠١٣م)، **شرح العقيدة السفارينية**، (الطبعة الثانية)، السعودية: مدار الوطن للنشر.

٢٥. عرقسوس، طلال بن مصطفى، (٢٠٠٤م)، **التوسل في كتاب الله عز وجل**، (الطبعة السنة السادسة والثلاثون)، السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢٦. ابن أبي العز، صدر الدين الحنفي الأذرعي، (١٩٩٧م)، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، (الطبعة العاشرة)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٧. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، (١٤١٤هـ)، **معجم المقاييس في اللغة**، (د. ط)، بيروت: دار الفكر.

٢٨. الفوزان، صالح، (١٩٩٩م)، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، (الطبعة الرابعة)، الدمام: دار ابن الجوزي.

٢٩. الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (١٩٥٢م)، **القاموس المحيط**، (الطبعة الثانية)، مصر: طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٣٠. القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين، (١٩٦٤م)، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (الطبعة الثانية)، القاهرة: دار الكتب المصرية.

٣١. ابن قيم، شمس الدين الجوزية (د. ت)، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**، (د. ط)، الرياض: دار الثريا.

٣٢. ابن قيم، شمس الدين الجوزية (د. ت)، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، تحقيق: أسامة حسن، (د. ط)، القاهرة: المكتبة القيمة.

٣٣. ابن كثير، إسماعيل، (١٩٩٩م)، **تفسير ابن كثير**، تحقيق: سامي سلامة، (الطبعة الثانية)، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٣٤. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، (د. ت)، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (د. ط)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٥. ابن محسن، حامد بن محمد، (١٩٩٦م) **فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد**، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، (الطبعة الأولى)، دار المؤيد.

٣٦. المراغي، أحمد بن مصطفى، (١٩٤٦م)، **تفسير المراغي**، (الطبعة الأولى)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٣٧. ملكاوي، محمد أحمد، (١٩٨٥م)، **عقيدة التوحيد في القرآن الكريم**، (الطبعة الأولى)، مكتبة دار الزمان.

٣٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، (د. ت)، **لسان العرب**، (د. ط)، القاهرة: دار المعارف.

٣٩. النسائي، أحمد بن شعيب، (٢٠٠١م)، **السنن الكبرى**، حققه وخرج أحاديثه: حسن شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، (الطبعة الأولى)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٤٠. موقع بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام: http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=01-04-0046

٤١. الموسوعة الحديثية/ الدرر السنية https://dorar.net/h/2a8aee4fd73eba6125dcc212de5ca682

وما توفيقي إلا بالله